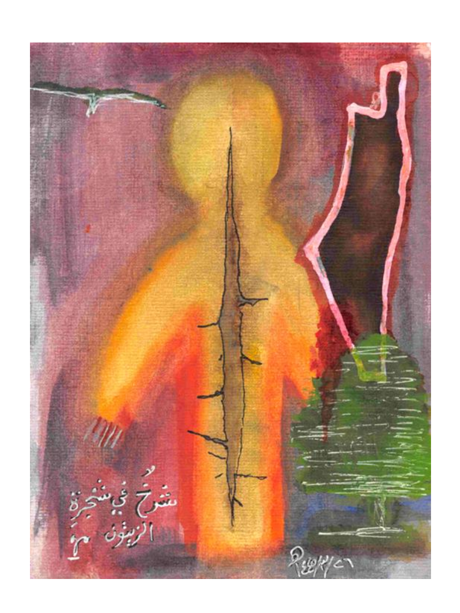
شرخٌ في شجرةِ الزيتون

حلمي صابر - ٢٦ ربيع الأول ١٤٤٥هـ



ليس اليومُ ، يوما للعتاب

إنما جئتُ لأواسيك

أنتَ مجروحٌ، وأنا مثلك جَرْحٌ وقَرْحٌ

شرْخٌ

هذا الذي جنته يداك وأيادينا

حبستَ الشيخ الصادق المُصلحَ الناصح

وطردتَ المبدعَ المبتكر العالِم

وقوضتَ التعليم

وهدمتَ المهندس ، وقللتَ المعلمين

وقربتَ حولك الراقصين ، وما أكثر الراقصين

وازداد بقربكَ من المستثمرين والمتملقين

فما بقيَ حولك إلا السراب ، لكنكَ ظننتهُ ماءً

وفي الضفة الأخرى للذين لم يحبَسَوا
هددتهم، وهددتنا، وهدمتهم وهدمتنا
نحن خِفنا وصمتنا وإلى داخل أنفسنا هربنا وصمتنا
والشرخُ يكبرُ ويتسع
والطبيب مثلنا رأى الشرخ وانصمت
ولا زال الشرخ يتمدد ، وصار صعبا أن يرتقع

نعلم يوما ما ، جميعنا سيسقط . والسفينة بركابها ستغرق
نحن نتاج تاريخنا الماضي القريب، وللتاريخ القادمِ لم ننتجْ
علَّمَنَا واقعنا التاريخي: الخوف والهروب والصمت
الخوف يورثُ الكذبَ والنفاقَ والضعف
والصمتُ يضيّعُ الحق
ولا يعقبُ الهروب سوى الغبار
ألم أقلْ لكَ : بنيانك سراب

وحينما جاءت ساعة الجد ، كنّا فارغين
كلامنا كثير ، وقصائدنا على مسارحنا :
من سيربحُ بشعرهِ المليون
وصرنا نرددُ قصائدنا ونسينا قبل البارحة، كانت القنابل تقصفنا
فدندنتْ الحرب وما دندنَّا
حتى جاء اليوم، الذي فيه أدركنا
لو واصلنا اتباعكم ، لضللنا وأضلينا

صحونا وتركناكم
وتحت الأنفاق حفرنا

جمعنا البارود من أعواد الكبريت
ولأنبوب الطريق قطعنا
ومنه للصاروخ صنعنا
وللشباب دربنا
لم نلههم بكرة القدم
ولم لكرة الجلدِ نفخنا

جعلنا الشباب بمهارة محترفين
ولقلوبهم بالقرآن والسنة سقينا
و علمناهم وشرحنا
فنبتَ الإيمان، وكلنا بقضيتنا آمنا

علمنا صلى الله عليه وسلم نبينا
بأننا سنضل وسنضيع إذا ضيعنا
وللأسف ، كان ذلك واقعنا
نعم ضِعْنا
لكننا تداركنا أنفسنا ، ولديننا رجعنا

فليس عند إيزنهاور وديغول
وليس عند تشرشل وستالين
وليس عند ماو
وليس بوضع اليد مع شارون
سترجع أمتنا

خدعونا وقالوا : الأقصى قضية فلسطينية
وواصلوا خداعهم بقولهم : الأقصى قضية عربية
المشكلة: دائما نحن مغيبين !
كأن الأرض ليست بلدنا
كأننا في وطننا كالنزلاء المستأجرين
ودائما يظننا الإعلام دميةً يتلاعبُ بنا
قال لنا : ليس الأقصى قضيتنا
وبالرقص والغناء والترفيه ، لم يستطع أن يقنعنا

شرخٌ
اليومُ، أنا ادفعُ فاتورة الصمت
ادفع ما جنته يداي
حينما صدقتك وتجاهلتَ القرآن

الانتخابات الرئاسية الغربية ، من يمولها ؟
وثمن الإعلانات التلفزونية ، عندهم من يدفعها ؟
أنت تعرفُ وأنا أعرف بالأسماء منْ
مِنَ اليهودِ في وول ستريت (wall street) يكفلها

ولا زلت أبلعُ الصمت
حتى رأيتُ الطفلَ الرضيع الميت بين الحطام يعاتبني في غزة
لِمَ لَمْ تنقذني ؟! لَمَ لَمْ تدفع عني الموت ؟!
فبكتْ عيني، وفي قلبي من عينيه وعتابه وخزة
وانفطرَ قلبي
صحوتُ، وكسرتُ الصمتَ

أنا لا أعاتبك
لكنني أناديك بأن تصحو
سيرمونك إذا صفقتك نَفَخَتْ
هل أعيدُ عليك قراءة سايكس بيكو ولمن سَحَلتْ ؟
كيف يا صاحبي
نبيع في أنفسنا ونشتري ؟!

صوت الصغير يئنُ في نفسي
ودمعه يجرى من عيني
تُدكُ غزةَ اليوم
ويدايَ مكبلة، ومخازني ملأى
عندي كل ما يحتاجونه ويسعفهم،
سلسلتَ فمي ويدي، ودمي على غزة مسفوح يجري
كيف حينما احتاجوني، قيدتني ؟!

استردَ المجاهدون ماءَ وجهي
ويريدون أن يستردوا المُغتصبةَ أرضي
صواريخنا ، تخدشُ الزجاج ولا تهدِم
فقط، للجدار الهزيل تْخرِق ، وفي الشارع حفرةً صغيرة تحفِر
ألم أقل لك جمعنا بارود صواريخنا من أعواد الكبريت
وصاروخهم لبناياتنا الطويلة تهدِم وتُسْقِط
ما عدلتَ بيننا في المقارنة ، ولم تُقْسِط
ما عندنا أهدافا عسكرية لتتلف
فصرنا نحن البشر أهدافا عسكرية نستهدف
حتى سيارة الإسعاف بطاقمها وجرحاها تستهدف

مجريٌّ بولندي بسفنه جاء في بدايات القرن العشرين عندي
ثم سرقني واغتصبَ شجرتي
ثم باع زيتوني
وطردني ثم قتلني
كيف يُزْرُعُ الزيتون بيدِ المهاجر البولندي!

كيف هذا جرى ؟!
ألم تكن في الضفة الأخرى تحبسني !
من أصوات أعواد الكبريت لاذوا فرارا
ونحن إلى أين نفر ؟!
نحن في حبس مفتوح
بين البحر والجدران
أنت معهم حبستني !

عجيب يا أمة الإسلام
كيف صِرتم
تريدون ممن ظلمكم أن ينصفكم ؟!
وهل ينتصفُ الحمْلُ من الذئبِ

فافتحْ الحبسَ عن العِالم، وارجعْ المهندس المسافر ، واستردْ العِالم المهاجر
وآيِسْ من الغربي والشرقي والصيني والأوروبي والأمريكي والروسي والهندي
اصنعْ مصنعك ورجالك
بالله عليك أخبرني :
عن النهوض ما الذي ينقصنا ؟!

مجاهدو غزة درسٌ
أهم إرهاب ؟!
أأ النتن ياهو ، صديقنا الذي يصْدقنا ؟!
حينما صافحتهُ ، قطعتَ ألسنتنا وأيادينا

وول ستريت، لبوارج الرئيس المُنتخبُ بمالهِم على بحارنا حركوا ورسوا
سؤال: أنت ماذا حركتَ فينا ؟
قطعتَ شجرة الزيتون
وصببتَ الزيتَ علينا
وأشعلتَ النار فينا

فلتتصافح أيدينا ، وننهض بأمتنا
نحن إخوتك
فآثرنا
وضع يديك على أيدينا

انتهى